# بنو تميم في سماء العروبة

— ٣ —

## بين بنى تميم وقريش

للأستاذ عبد العزيز مرزوع الأزهرى

المدرس بالمدارس الثانوية

---

(١) أول مجمع لغوى عند العرب . (٢) التنسيق اللغوى لقريش . (٣) لم بالغ العلماء فى أثر القرشيين . (٤) التاريخ الحق ينصف بنى تميم (٥) كيف كان بنو تميم قضاة العرب وحكامهم . (٦) اللهجات المنبوذة ونماذج منها .

(١) أول مجمع لغوى عند العرب : إذا كان ( سابور أزدشير ) الفارسى أول من دعا العلماء إلى تأسيس ( مجمع لغوى ) لتغذية اللغة الفارسية بما هى فى حاجة إليه من اللغة اليونانية ؛ فان ( أسواق العرب فى الجاهلية ) كانت أبسط الصور وأولها للمجامع اللغوية عندهم .

وقد كانت هذه الأسواق أشبه بمعارض سنوية ، يقوم فيها الشعراء والخطباء فيتفاخرون ، ويتنافرون ، ويتعاظمون ؛ فيحاضرون القبائل بأرقى ما وصلت إليه اللهجات فى ألفاظها ، وتعابيرها ، ومناهجها ، وآثارها الشعرية والخطابية .

( منزلة المضريين ) : ونظراً إلى أن المضريين كانوا أعز القبائل حمى وأكثرهم عدداً وأوفرهم حيوية ، كانت لغتهم أقوى اللغات ، ولهجتهم أرقى اللهجات

وارتجالهم أعذب الموارد اللغوية لجميع القبائل ، فصفت بماعداها بل بالحميرية مع أنها أقدم منها عهداً وأسبق جهاداً ، وقد ظل الحال على هذا المنوال حتى أشرق الإسلام ، فسحر العرب ببلاغة القرآن وأسلوبه وسلاسته ...

(في العهد الأموى) وسارت مواكب الأيام إلى غايتها حتى كانت أيام الأمويين ، فأخذ واحد من حفدة معاوية ينظر فى كتب الأقدمين ، ويترجم منها ، فاضطرته الترجمة إلى البحث عن كلمات عربية بدل السريانية أو اليونانية .

(فى العهد العباسى) ولم تأت أيام العباسيين حتى هب علماء البصرة والكوفة ، ملبين نداء الخلفاء العباسيين وحاجة الحضارة العربية ، فكان لهم كل الفضل فى تدوين العلوم اللغوية والمدنية ...

(٢) [ التنسيق اللغوى لقريش ] : ندر أن تجد فى ظلال التاريخ قبيلة نالت من خلود الذكر وحسن الأحدوثة والعبقرية اللغوية مانالته قريش ؛ لأن مركزها الاجتماعى والدينى فى الجاهلية ، ودعايتها وظروفها فى صدر الإسلام، كانت كفيلة بإسناد كل فضل إليها وإلى بنيها ولا سيما فى الميدان اللغوى !! ويكاد الناس ينسون ( ماضى تميم ) وبقية المضريين الذين رفعوا لواءها خفاقا فى الجاهلية من آماد سحيقة !! وكان لهم مجد أضخم من مجد القرشيين ، وآثار رائعة ، لولاها ماوجدت قريش أسساً تبنى عليها مجدها وشهرتها وخلودها .

إن كل ماقدمته هذه القبيلة المحظوظة لخدمة اللغة العربية أنها نهجت نهج ( بنى تميم ) وبنى عمومتهم فى التنسيق اللغوى لا فى الوضع أو الارتجال ، فأخذت تختار من لهجات القبائل ماسهل لفظه ، وخف وقعه ، فتدخله فى هيكل لهجتها ، وتستعمله فى شئونها التجارية ، وفى القضاء بينهم فى ( دار الندوة ) وفى مواسم الحج ؛ فوظيفتها كانت أشبه بوظيفة المصفاة فى دنيا السائلات ، والمنخل فى عالم المسحوقات !!

أئذا تكون كريهة أدعى لها وإذا يحاس الحيس يدعى جندب !!

(٣) [ لم بالغ العلماء فى فضل قريش ]

إن تلك الظروف القاسية التى جعلتهم يتنسكرون لقومى بنى تميم وأبناء عمومتهم ، بعد أسسوا قواعد اللغة ، وفجروا عيونها ، فى وقت كان العالم فى جهالة جهلاء وطمطمانية خرساء ؛ ترتد إلى امور أشهرها :

١ - أن من قريش ( نبعة الوجود صلى الله عليه وسلم ) وإذا كان التعصب قد دفع ( أبا عبيد ) أن يقول بعد ذكره ( سفلى هوازن ) و ( عليا تميم ) ، وأفصح هؤلاء بنو سعد بن بكر ، لنشأة النبى بينهم ، واسترضاعه فيهم ، فأولى بجمهرة العلماء أن يقلدوا قريشاً فخر الدهر ، وعز الأبد ، وأن يعقدوا لها اللواء ، ويكيلوا لها الثناء لأن النبى منهم عصباً ونسباً !!

٢ - وأن الخلفاء والحكام والولاة أيام تسجيل اللغة كانوا منهم ، ولبيت الملك فى كل زمان ومكان منزلته من الاجلال والسمو والهيبة .

٣ - والقرشيون سكان الحرم ، وولاة البيت قبل الاسلام بنحو ٢٠٠ سنة ، وفى عصر النبى والخلفاء الراشدين ، وعصر بنى أمية ، وبنى العباس إلى وقت تدوين اللغة !!

٤ - فوق أنهم كانوا يحتكرون التجارة صادرة وواردة بين اليمن شتاء ، والشام صيفا ، فأثرهم الحيوى ، وتأثيرهم المالى والاقتصادى فى العرب كافة أشبه ما يكون بتأثير اليهود فى تيسير أمور العالم الآن ؛ وقد رأى الجميع كيف سخروا دول العالم العظمى لمآربهم السياسية !!

٥ - وقد أتاحت لهم الظروف السانحة ، وانتزاعهم مفاتيح الكعبة من خزاعة بزق من الخمر [١] بمساعى قصى أن تكون بيدهم الحجابة ، والرفادة ، واللواء ، والسقاية ، ودار الندوة ، وأن يكون القضاة منهم فيها ، بعد أن كانوا من المزارعة [٢] وسيأتى شرح ذلك مبسوطا :

---

(١) مجمع الامثال للميدانى جـ ١ ص ١٩٨ ، والقاموس المحيط مادة خبش

(٢) ص ٤٣٧ من النقائض بين جرير والفرزدق

ألا ترى معى أن تجمع تلك الظروف ، واختلاط قريش بكل القبائل العربية فى المواسم والأعياد والرحلات التجارية ، واختيارهم من خطب القبائل وأشعارها أحسن لغاتها وأرق كلامها ، مجتمعاً إلى سلائقهم ، وإلى الرقى الاجتماعى الذى أصبح فيه العرب عند تدوين اللغة العربية .

ألا يسلب كل أولئك حرية الرأى عند علماء اللغة ، ويرجح كفة قريش ، بل يجعل القرشيين أفصح العرب لسانا ، وأوضحهم بيانا ، وألينهم أسلوبا ، وأرقهم تعبيراً ، وأسهلهم لفظاً ، وأعذبهم منطقاً ..!!

(٤) [ التاريخ الحق ينصف بنى تميم ] أما التاريخ الحق فانه لا يعبأ فى مثل موقفنا بالظروف السياسية أو الاجتماعية وما إليهما ؛ لذا تراه ينصف المضريين الأولين قاطبة ، ويرفع عقيرته فخوراً بآثار ( بنى تميم ) خاصة ، ويطنب فى الثناء عليهم : مشرعين ، أو مرتجلين . أو قضاة وحكاما ، أو شعراء وخطباء وحكماء ... قبل الاسلام وبعده .

وقد طاب لى أن أرهف السمع لالتقاط مايزجى من براهين على فضل عشيرتى فى النهوض باللغة غير ماتقدم فاكتفيت من السماع بتسجيل البراهين الأربعة الآتية :

(١) أجمع المستشرقون على أن بنى تميم ( كانوا ذخراً للغة العربية الفصحى فى الشعر والبلاغة )

(٢) وروت كتب الأدب أن ( ابن عباس ) قال : « نزل القرآن على سبع لغات : منها خمس بلغة العجز من هوازن منهم ( سعد بن بكر ) وجشم بن بكر و ( نصر بن معاوية ) — وهو ابن بكر أيضا — ( وثقيف ) — وهو ابن منبه بن بكر كذلك ... )

(٣) وأخبرنا ( عمرو بن العلاء التميمى ) سيد الناس ، وأعلمهم بالعربية والشعر ومذاهب العرب ٢/٢٤٧ مزهر ) أن أفصح العرب عليا هوازن و ( سفلى تميم )

(٤) وقال ثعلب فى أماليه : « إن أبا زيد قال : لست اقول : قالت

العرب إلا إذا سمعته من هؤلاء ؛ ثم ذكر عليا هوازن وسفلى تميم » — وليس من هؤلاء قريش !!

فكيف ساغ للعلماء بعد ذلك أن ينسبوا الفضل كل الفضل إلى قريش وحدها !! فيما سردته الجواب مع مراعاة أن بين تميم والإسلام أكثر من خمسة قرون ، وبين قصى الجد الرابع للنبى ( ص ) وهو الذى علا شأن قريش فى زمنه إلى الاسلام قرنان فقط ، والقرنان أقل من الثلاثة ، والتميميون أضعاف القرشيين .

(٥) ( كيف كان بنو تميم قضاة العرب وحكامهم ؟ ) :

واستزدت التاريخ روعة لآثار قومى فى عالم القضاء والحكم فقال(١) :

وكان حكام ( بنى تميم ) فى الجاهلية ستة - وذلك قبل أن يجمعوا بين القضاء والحكم فى وقت واحد دون سائر القبائل :

(١) ربيعة بن مخاشن أحد بنى أسيد بن عمرو بن تميم .

(٢) وزرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله

(٣) وضمرة بن ضمرة النهشلى

(٤) وأكثم بن صيفى

(٥) وأبوه صيفى من بنى أسيد بن عمرو

(٦) وآخرهم ( الأقرع بن حابس )

ولم يكد ينتهى من حديثه حتى سمعت صوتا من جانب آخر يقول (٢)

ولا تنس أن ( حكيمات العرب ثلاث ) أولهن جمعة بنت حابس وهى أخت الأقرع بن حابس التميمى

( جمع تميم بين القضاء والحكم ) :

وهنا سمعت صوتا يجلجل فى الفضاء ينشد قول جرير مفتخرا :

ونحن الحاكمون على (عكاظ) كفينا ذا الجريرة والمصابا

وإذا بصاحب النقائض يتولى شرح ذلك فيقول (٣) :

---

(١) ص ١٢٩ نقائض جرير والفرزدق .

(٢) القاموس المحيط مادة حكم (٣) ص ٣٨ ج ٤

وذلك أن الحكام والأئمة فى الموسم كانوا بعبد (عامر بن الظرب) فى (بنى تميم) فكان الرجل منهم يلى الموسم، ويلى غيره القضاء، فكان من اجتمع له الموسم والقضاء جميعا :

(١) سعد بن زيد مناة بن تميم - وهو أبو مزروع الأكبر -

(٢) ثم ولى ذلك حنظلة بن مالك جد جرير والفرزدق .

(٣) وليه (أبو ذؤيب) بن كعب بن عمرو بن تميم

(٤) وقفاه (مازن) بن مالك بن عمرو بن تميم

(٥) وأعقبه (ثعلبة) بن يربوع بن حنظلة

(٦) وعقبه (معاوية) بن شريف — الجد الرابع لأكثم بن صيفى حكيم العرب .

(٧) وتلاه (جروة) بن أسيد بن عمرو

(٨) وتولى بعده (الأضبط) بن قريع - بن مزروع الأصغر بن مزروع الأكبر -

(٩) ونهض على أثره (صلصل) بن أوس بن مخاشن

(١٠) وكان آخر تميمى جمع بين القضاء والموسم (سفيان بن مجاشع) - الجد الخامس للفرزدق -، ولما مات افترق الأمر، ومعنى هذا أنه بعد أن انفرط عقد تلك السلسلة الذهبية المزدوجة لزعامة (بنى تميم)، وجمعهم بين الحكم فى دار الندوة، والقضاء فى موسم الحج، واستيلائهم على الرياسة الادارية والدينية والأدبية وكل ماله علاقة بشئون العرب، اقتصروا على القضاء وحده، فلم يجتمع القضاء والموسم لأحد منهم أو من غيرهم حتى جاء الاسلام وكان (محمد بن سفيان) يقضى بعكاظ، وكان آخر من قضى منهم (الأقرع بن حابس). ومجموع هؤلاء ٦ + ١ + ١٠ + ١ = ١٨ من القضاة والحكام

فأى قبيلة اجتمع لها مثل هذا العدد من العظماء الذين أجمع العرب على تقليدهم أمورهم فى عوالم الجاهلية حتى قريش نفسها!

وأى سادة كهؤلاء ظهروا فى جزيرة العرب من غير تميم كانت تضرلهم الجباه خشوعا واحتراما وهيبة وتقديرا ؟ وأى مثقف يشك بعد ذلك فى عظمتهم بعد ( ابتكارهم اللغوى ) و ( تشريعهم الثقافى ) و ( نهجهم البلاغى ) و ( شهادة العلماء ) من بصريين وكوفيين ومستشرقين ؟ وبعد أن سجل التاريخ الحق أن منهم ( أكبر شعراء الجاهلية ) أوس بن حجر(١) و ( أمير الرجز ) رؤبة والعجاج و ( ملكى الشعر ) جريراً والفرزدق ، و ( أخطب العرب ) خالد بن صفوان ، وشبيب بن شيبه ( وأحكمهم ) أكثم بن صيفى ، ( أعمقهم بلاء فى سبيل الله ) خباب بن الأرت و ( أعلمهم ) النضر بن شميل وعمرو بن العلاء و ( أحلمهم ) قيس بن عاصم والأحنف بن قيس و(أفرسهم) السليك بن السلكة ومالك بن الريب ...

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم إذا جمعتنا يا (قريش) المجامع !!

٢ - اللهجات المنبوذة :

بعد أن كانت لغة العرب فى الجاهلية كثوب ضم سبعين رقعة مشكلة الألوان مختلفات ، على الرغم من جهاد المضريين وجهود بنى تميم ، وتلقينهم شعوب العرب وأنخاذها وعشائرها وعمائرها أروع النماذج التى يجب أن تكون عليها لغة أمة حية تريد أن تتبوأ مقعدها اللائق بها تحت قبة السماء ، وبعد أن أجرى الاسلام عملية الخلط والمزج بين الامشاج المتنافرة والقبائل المتعارضة . . بعد كل أولئك بدأ التاريخ يسجل فصلا آخر من فصول العظمة العربية ، فقام العلماء فى العصر العباسى يضعون لغة عامة موحدة راقية للعرب كافة ، معتمدين على أفصح اللهجات التى توارثوها عن (تميم) و(قيس) و (بنى مدركة) و (قريش) أخيراً ، نابذين تلك اللهجات الهزيلة من لهجات العرب وتلك الجراثيم الدخيلة من لهجات الأعاجم ؛ فكانوا على الرغم من جهادهم متفرقين أشبه بأعضاء مجمع لغوى منظم !!

( دستور(٢) علماء اللغة ) ولم ينس أولئك العلماء أن يقدروا حساب الظروف المكانية وتأثيرها فى اللغة فقرروا :

(١) مجلد ٣ من دائرة المعارف الإسلامية (٢) الأزهر ج ١ ص ١٢٨

(١) ألا ياخذوا - لتشييد دعائم اللغة المبتغاة - من حضرى قط .

(٢) ولا عن سكان البرارى والأطراف ؛ لأن التاريخ أصدق شاهد على أن الاختلاط بالأجانب من مصادر النكبات القومية وبهاتين القاعدتين وصلت إلينا تلك العربية الفصيحة العامة المبثوثة فى المعاجم وكتب اللغة والأدب .

وفيما يلى أشهر تلك اللهجات المنبوذة التى

سرت لوثة الاعجام فيها كما سرى  لعاب الأفاعى فى مسيل فرات

| القبائل التى نبذت لهجتها | سبب نبذها |
|---|---|
| (لخم وجذام وعاملة) من يمن الشمال | مجاورتهم مصر القبطية |
| (قضاعة وغسان وإياد) « « « | مصاقبتهم أهل الشام |
| (ثعلب وبعض قبائل اليمن الشمالية) | قربهم من اليونان |
| (بكر) ومن احتطبوا فى حبلهم | دنوهم من القبط غربا والفرس شرقا |
| (عبد قيس وأزد عمان) ومن انتشر حولهما بالبحرين | اختلاطهم بالهند جنوبا والفرس شمالا |
| أهل اليمن المشرفون على المحيط الهندى والبحر الأحمر | مخالطتهم الهند شرقا والحبشة غربا |
| بنو حنيفة وسكان اليمامة والطائف | امتزاجهم بتجار اليمن |
| حاضرة الحجاز فى صدر الاسلام | ازدحامها بكثير من تجار العرب والعجم |

( نماذج من تلك اللهجات )

كنت أشرت فى مقالى الأسبق فى عدد ابريل سنة ١٩٤٧ إلى بعض هذه اللهجات المنبوذة

فالآن أقدم بين يدى أساتذتى وأصدقائى عدة نماذج بعضها من اللهجات المعروفة قديما وبعضها ما عثر عليه رواد النقوش الأثرية من المستشرقين ، سواء منها ( لهجات الجنوب ) ( كالمعينية ) و( السبئية ) و ( القتبانيـــة )

(والحضرمية) أو (لهجات الشمال) مثل (اللحيانيـــة) و (الثمودية) و (الصفوية) نسبة إلى جبال الصفاة فى بادية الشام.

(١) «أل» المعرفة لها ثلاث صور: «ا» أكثر العرب ينطقون بها كما تنطق اليوم وكما كان ينطق العرب النبطيون.

«ب» أما حمير فيقولون فى السفر «امسفر» فهى «الطمطمانية».

(حـ) وأما فى اللهجتين: «الثمودية» و «الصفوية» فينطقون بها هاء فيقولون فى الملك «هـ م ل ك».

«والذى» فى اللغة الفصحى يقابله فى «اللهجة الطائية» و«الصفوية» «ذو» فى جميع الأوضاع، ومن آثارها:

وبئرى «ذو» حفرت و«ذو» طويت

ويؤيد اللهجة الصفوية كشف الأستاذ «أنوليتمان»[1]

«٣» وأما بقية اللهجات الأخرى فمثلها:

١ - «فحفحة هذيل» كقولهم فى الحلم «العلم».

٢ - و«وكم كلب من ربيعة» كقولهم فى عليكم وبكم: «عليكم وبكم» بكسر الكافين.

٣ - و«وهمهم» كقولهم فى منهم وعنهم: «منهم وعنهم» بكسر الهائين.

٤ - و«عجعجة قضاعة» كقولهم فى تميمى وحجازى «تميمج وحجازج».

٥ - و«شنشنة اليمن» كقولهم فى «كتاب مكة» «شتاب مشة».

٦ - و«كشكشة أسد» كقولهم فى الوقف غالبا فى عليك «عليش أو عليكش».

وإلى اللقاء سادتى فى العدد التالى إذا شاء الله.

عبد العزيز مبروك الأزهرى
المدرس بالقبة الثانوية

(١) ص ٢٤٧ جـ ٢ من مجلة المجمع اللغوى